

نظرية النمو الإنساني عند أبي العباس البلدي

د. عماد عبدالله محمد الشريفين و د. أحلام محمود علي مطالقة

قسم الدراسات الإسلامية - كلية الشريعة

جامعة اليرموك - إربد - الأردن

ملخص: يهدف البحث إلى بيان نظرية الإمام البلدي في النمو الإنساني، وذلك من خلال الكشف عن مراحل النمو الإنساني، والمظاهر التطورية في كل مرحلة، والكشف عن العوامل المؤثرة في النمو الإنساني. وتوضيح طرائق البحث في النمو الإنساني، وأهم مشكلاته.

ولتحقيق أهداف البحث فقد استخدم الباحثان المنهج التاريخي والوصفي التحليلي، وتوصل الباحثان إلى أن الإمام البلدي فصل في مراحل النمو الإنساني ومظاهره حيث جعلها أربع مراحل لكل مرحلة خصائصها المميزة، كما أشار إلى أهم المشكلات المؤثرة في النمو الإنساني بالإضافة لبيان طرائق البحث في النمو الإنساني المتمثلة بالطريقة السريرية، والملاحظة، والتجربة والمنهج المقارن.

Abstract: The research aims to the statement of the theory of Imam Albaladi in human development, through the detection stages of human development, and the statement of the growth human of appearances evolutionary in each stage, then disclosure of the factors influential in at each stage. As well as the statement of research methods in human development, the most important problems.

To achieve the aims of the research the researchers used two approaches historical and descriptive analysis, and concluded the researchers that the Imam Albaladi separate the stages of human development and manifestations which make it four phases each phase characteristics, as pointed out to the most important problems affecting the growth of human as well as statement of research methods in human development of way of clinical observation, experience and comparative approach

أولاً: الإطار العام للدراسة

المقدمة:

يلحظ الدارس في موضوعات علم النفس ضعفاً في الدراسات النفسية من منظور القرآن الكريم والسنة النبوية، وغياب الاهتمام اللازم بالموروث التربوي والنفسية في الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين، فلم يظهر دورها في علم النفس وتطوره عبر التاريخ، ولم يقدم للمكتبة النفسية إلا اليسير منها.

وموضوع النمو الإنساني كسائر الدراسات النفسية التراثية عند العلماء المسلمين لم يحظَ بعناية الباحثين، مع أن المتأمل في مؤلفات العلماء المسلمين ومصنفاتهم يلحظ اهتماماً واضحاً وبيناً في موضوع النمو الإنساني، وهذا ما يحتاج إلى بيان وكشف؛ ولابد من الإشارة إلى أن العلماء المسلمين

د. عماد الشريفين و د. أحلام مطالفة

الذين نبين وجهة نظرهم لم يكونوا متخصصين في علم نفس، بل هم فقهاء وفلاسفة وأطباء ومفسرون وغير ذلك فمحاولة تحديد وجهة نظرهم هي محاولة تجميعية توفيقية أولاً وتحليلية استنتاجية ثانياً .

إن موضوع النمو الإنساني قد شغل حيزاً لا بأس به من اهتمامات العلماء المسلمين فابن الجزار القيرواني في كتابه "سياسة الصبيان وتدبيرهم" رسم مسيرة كاملة للطفل من لحظة ولادته حتى نهاية طفولته، وأحمد حميد الكرمانى في كتابه "راحة العقل" رسم صورة للنمو الإنساني وتحدث عن التطور التراكمي (Cumulative Development)، حيث لا ينتقل الطفل من مرحلة سابقة إلى مرحلة لاحقة إلا بعد أن تكتمل المرحلة السابقة، ويربط الكرمانى بين أطوار النمو وقوى النفس ومراحلها، فبدأ مقالته بالوراثة وسماها سلالة.

وابن الجوزي في كتابه "تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر" تحدث عن مراحل التطور الخمس، والعوامل المؤثرة في نمو الإنسان، إضافة إلى تحميله الوالدين مسؤولية تربية الأبناء. وأحمد بن محمد البلدي (موضوع الدراسة) في كتابه "تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم" قسم مراحل النمو وبين كيفية تكوين الجنين في الرحم، والعوامل المؤثرة في نموه من الغذاء والنظافة وغيرها من العوامل المؤثرة في النمو الإنساني.

ومن العلماء الذين بحثوا في النمو الإنساني الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن يحيى البلدي، من أبناء القرن الرابع الهجري، حيث كان خبيراً بصناعة الطب وحسن العلاج وإعداده، ذهب إلى مصر، والتقى بالوزير الأجل أبي الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس، وزير المعز الفاطمي وألف له كتابه "تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم في سنة 368هـ، وتوفي في سنة 380هـ. (ابن أبي أصيبعة، 1965)

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

جاءت هذه الدراسة تحقيقاً لتوصيات الدراسات التي بحثت في النمو الإنساني من المنظور الإنساني مثل: دراسة (التل، 1990)، ودراسة (Shehu، 1998)، ودراسة (الشريفين 2007)، ودراسة (الشريفين، 2009) بضرورة الاهتمام بالتراث التربوي الإسلامي والكشف عن مكوناته العلمية وربطها بالدراسات الحديثة. بالإضافة إلى اضطراب النظريات التي بحثت موضوع النمو الإنساني حيث قدمت معلومات جزئية احتمالية، فأحدثت اضطراباً في نظرتها إلى الإنسان كونها أصرت على تفسير الكل الإنساني بالجزء الذي اهتمت به، بالإضافة إلى استبعاد الدين عن النظريات وقيامها على الأصول العلمانية، ومن أمثلة ذلك غياب مصطلح النمو الديني وغياب توظيف النصوص في

نظرية النمو الإنساني عند أبي العباس البلدي

الحقائق الدينية وتعميم الكشوف المعرفية الجزئية المتعلقة بالإنسان لتصبح عقيدة شمولية تفسر التطور الإنساني، وكذلك الأخطاء المنهجية العلمية التي وقع بها وغياب الموضوعية العلمية. حيث برزت خمسة اتجاهات من النظريات المختلفة تفسر التطور الإنساني، اتجاه التحليل النفسي الذي يركز على الانفعالات والدوافع اللاشعورية، واتجاه التعلم الذي يركز على السلوكيات الظاهرة، والاتجاه السياقي الذي يركز على أثر البيئة الاجتماعية والثقافية المحيطة والاتجاه المعرفي الذي يركز على عمليات التفكير والاتجاه الأيتولوجي الذي يهتم بالأسس الارتقائية للسلوك (أبو غزال، 2006، ص 47-75).

ومن أمثلة اضطراب النظريات؛ نظرية دارون، والتي تمثل المنحى الأيتولوجي في نظريات التطور الإنساني، فهذه النظرية لا يؤديها الواقع إذ لو كانت صحيحة لشاهدنا كثيراً من الحيوانات والإنسان تأتي إلى الوجود عن طريق الانتخاب الطبيعي والجنسي للكائنات الحية وليس عن طريق التزاوج، فذاك لا يمنع من تحول قروود إلى صورة آدميين على شكل دفعات. لذا يرى أهل الاختصاص والمنشغلون بعلم الأحياء أن هذه النظرية لا ترقى إلى مستوى النظرية، بل هي لدى التحقيق لا تزال في مستوى الفرضية؛ لأنه لا يوجد دليل حتى اليوم واقعي ومشاهد يرجح صحة النظرية ولو بمثال واحد يصح الاعتماد عليه كأساس للتطور الإنساني (الميداني، 1985م، ص 321).

والمثال الثاني نظرية فرويد والتي تمثل منحى التحليل النفسي في نظريات التطور الإنساني حيث اعتمد فرويد الأساطير في وضع نظريته، وهي أسطورة العشق الجنسي للأم، فأخذها كما اعترف في كتابه (Totem and Taboo) من مثال في عالم الأبقار عندما تثور في موسم الإخصاب فتقتل الأب والثيران الضعيفة ويفوز الثور الأقوى وحده بالأم ويلبي معها داعي الجنس، وفرويد ينقل هذه الظاهرة الحيوانية إلى عالم الإنسان وينسبها إلى البشرية الأولى وكأنه شاهد مولدها وعين تحركاتها وغفل عن أن بعض الحيوانات ذاتها يأبى الولد منها أن يظاً أمه ولو دفع إلى ذلك، ويزعم فرويد أن هذه اللوثة المجنونة تلوثت بها الأجيال كلها فكل ولد يعشق أمه عشق الجنس وكل بنت تعشق أباًها عشق الجنس، ثم هو يفسر السلوك والتطور الإنساني كله بالجنس (قطب، محمد، 1983، ص 360-361). وثمة أمثلة عديدة تدل على اضطراب بعض نظريات التطور الإنساني تحتاج لدراسة مستقلة.

لذا تهدف الدراسة الحالية إلى بيان رؤية أحد كبار العلماء المسلمين في النمو الإنساني وخاصة أن هذا العالم كما أشار الباحث في المقدمة بحث موضوع النمو الإنساني بشكل مباشر، حيث إن البحث في نظريات التطور الإنساني يخلو من أي جهد يختص بالعلماء المسلمين، مع أن المتأمل في كتب التراث الإسلامي يلحظ بوضوح أن موضوع النمو الإنساني قد شغل حيزاً لا بأس به من

د. عماد الشريفيين و د. أحلام مطالفة

اهتمامات العلماء المسلمين. وعليه فتسعى الدراسة الحالية إلى الكشف عن رؤية الشيخ البلدي في موضوع النمو الإنساني من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- 1- ما مفهوم النمو الإنساني، التطور الإنساني؟
- 2- ما مراحل النمو الإنساني عند البلدي؟ وما خصائص كل مرحلة؟
- 3- ما طرائق البحث التي استخدمها البلدي في دراسة النمو الإنساني؟
- 4- ما أهم مشكلات النمو الإنساني التي بينها البلدي؟

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى تحقيق الهدف المحوري المتمثل ببيان رؤية الشيخ البلدي لموضوع النمو الإنساني وذلك من خلال توضيح مراحل النمو الإنساني عند البلدي والكشف عن خصائص كل مرحلة من مراحل النمو الإنساني ثم بيان طرائق البحث التي استخدمها البلدي في دراسة النمو الإنساني، وأخيرا الكشف عن مشكلات النمو الإنساني التي بينها البلدي.

وتتمثل أهمية الدراسة وحدائتها في الآتي:

- 1- تفتح الدراسة الحالية قناة اتصال بين الدراسات النفسية الحديثة والتراث العربي والإسلامي من أجل إسهام الجميع في مشروع التأسيس الإسلامي لعلم النفس، وكذلك تضيق الفجوة بين ما اصطلح على تسميته بعلم الشريعة والعلوم الطبيعية والإنسانية.
- 2- تدعو الدراسة أقسام علم النفس في الجامعات العربية والإسلامية، إلى الاهتمام بالتراث الإسلامي وخاصة فيما يتعلق بالبحث العلمي والتدريس الأكاديمي.
- 3- الدراسة الحالية تكشف عن رؤية الإمام البلدي في النمو الإنساني من حيث مراحل النمو الإنساني، وخصائص كل مرحلة، وطرائق البحث التي استخدمها البلدي في دراسة النمو الإنساني، والكشف عن مشكلات النمو الإنساني، وهذا ما لم تبينه أي دراسة سابقة.

الدراسات السابقة:

في حدود اطلاع الباحثين ومن خلال مراجعة المكتبات والمواقع الإلكترونية لم يجدوا دراسة عالجت النمو عند الشيخ البلدي بشكل مباشر ولم يقف على دراسة تحمل ذات العنوان والموضوع (دراسة النمو عند البلدي)، غير أنه عثر على دراسة تبحث في النمو عند ابن الجوزي وعثر على بعض الدراسات التي تتعلق ببعض دراسات النمو من المنظور الإسلامي منها:

دراسة (أبو حطب، د. ت) والتي هدفت إلى بيان اتجاهات بناء علم نفس إسلامي، وأكدت ضرورة بناء هذا العلم، واختار الباحث أحد ميادين علم النفس، وهو علم نفس النمو، حيث عرض لآيات الله في نمو الإنسان ثم كشفت عن سنن الله في آيات النمو.

نظرية النمو الإنساني عند أبي العباس البلدي

دراسة (التل، 1990) وهدفت الدراسة إلى إبراز الخصائص النمائية في كل مرحلة من مراحل النمو الإنساني من وجهة النظر الإسلامية، واتبعت المنهج الوصفي التاريخي القائم على استعراض مراحل النمو وخلصت الدراسة إلى أن مراحل النمو الإنساني للخلق الناتج عن التزاوج هي الحمل والطفولة والتأديب والمراهقة والشباب، وأن لكل مرحلة مطلوبات تربوية تختلف عن الأخرى، وأن الإسلام قد رسم الطريق لبناء إنسان صحيح النفس والعقل، بحيث يصبح لبنة قوية في المجتمع. وأكدت الدراسة ضرورة الرجوع إلى التراث العربي الإسلامي من أجل استخراج كنوزه واعتمادها في التربية والتعليم في جميع المراحل التعليمية.

دراسة (ادعيس، 1993) وهدفت إلى الكشف عن مراحل تخلق الجنين في بطن أمه، من كونه نطفة إلى مرحلة الخلق الآخر، ومقارنتها مع ما توصل إليه العلم الحديث، وكذلك بيان المفهوم العلمي للاستنساخ وموقف الإسلام منه.

دراسة (النجار، 1995) هدفت إلى الكشف عن مفهوم نظرية الشخصية في الإسلام، وكيف تتطور شخصية الإنسان، وبيان مراحلها، والعوامل المؤثرة في بناء الشخصية واتبع الباحث المنهج التأصيلي. وخلصت الدراسة إلى أن العوامل المؤثرة في بناء الشخصية، هي: الوراثة والبيئة والقدرات والإمكانات الفردية، وأن مراحل تطور الشخصية في القرآن الكريم والسنة المطهرة، هي المهد والحضانة والتميز والحلم والرشد والرجولة والكهولة والشيخوخة والهزم.

دراسة (الشريعة، 1997) وهدفت إلى معرفة المتطلبات التربوية لمراحل النمو الإنساني في ضوء التربية الإسلامية، واتبع الباحث المنهج التحليلي الاستنباطي الذي يقوم على تحليل النصوص واستخلاص المتطلبات التربوية منها وخلصت الدراسة إلى أن ثمة متطلبات تربوية تناسب كل مرحلة من مراحل النمو، تمثلت في حق الطفل في الانتساب إلى أبوين شرعيين مؤمنين صالحين، وأن هناك سمات تتسم بها كل مرحلة تمثلت بأن الطفل يتأثر بتفاعل الوراثة والبيئة معاً.

دراسة (الزويد، 1997) وهدفت إلى بيان دور التوجيه الإسلامي للنمو الإنساني عند طلاب التعليم العالي، واتبع الباحث المنهج الوصفي، وبينت الدراسة أن أبرز مظاهر النمو عند طلاب التعليم العالي هو النمو الاجتماعي الذي يتأثر بعدة عوامل من أهمها المسجد وأكدت الدراسة ضرورة تشجيع الشباب للاستفادة المثلى من قدراتهم العقلية، وضرورة تقرير مادة دراسية تحت عنوان النمو الإنساني، تكون ضمن المتطلبات العامة لطلاب التعليم العالي.

دراسة (Shehu، 1998) وهدفت إلى بيان مبادئ تطور الإنسان المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة وكذلك الكشف عن العوامل المؤثرة في التطور الإنساني، واتبع الباحث المنهج الوصفي وخلصت الدراسة إلى أن مبادئ التطور الإنساني في القرآن والسنة تختلف عن مبادئ

د. عماد الشريفيين و د. أحلام مطالفة

التطور الإنساني في النظريات الحديثة، وأن أهم عامل مؤثر في التطور الإنساني في الإسلام هو الإرادة الإلهية، وأوصت الدراسة بضرورة إجراء دراسات تكشف عن حقائق التطور الإنساني من وجهة نظر إسلامية.

دراسة (الشريفيين 2007)، والتي هدفت إلى بيان مراحل النمو الإنساني والعوامل المؤثرة فيه، وبيان أسس النمو ومبادئه كما بينتها آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة. دراسة (الشريفيين، 2009) وهدفت إلى بيان نظرية الإمام ابن الجوزي في التطور الإنساني، وذلك من خلال الكشف عن مراحل التطور الإنساني عند ابن الجوزي، وبيان المظاهر النمائية في كل مرحلة كما وضّحها، ثم الكشف عن العوامل المؤثر في التطور الإنساني عنده.

وأوصت بضرورة إيلاء التراث النفسي الإسلامي المتمثل في مؤلفات العلماء المسلمين الاهتمام اللازم، حيث يعد ثروة معرفية يمكن الاستفادة منها في توجيه الدراسات النفسية الحديثة مما يجعلها تخدم بيئة المجتمع المسلم.

وتتميز الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة بتناولها لرؤية الشيخ البلدي لموضوع النمو الإنساني، والتي تبدأ من لحظة الإخصاب مروراً بمرحلة الطفولة والنضج، وبيان طرائق البحث في النمو الإنساني ومشكلاته عند البلدي، حيث لم تتعرض أي دراسة من الدراسات السابقة للبحث برؤية البلدي للنمو الإنساني.

منهجية الدراسة:

يعتمد الباحثان في دراستهما على المنهج العلمي المتمثل بالآتي:

أولاً: المنهج التاريخي الذي هو فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل في ضوء أحداث الماضي حيث قام الباحث بالرجوع إلى "تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم"، وهو الكتاب الوحيد للإمام.

ثانياً: المنهج الوصفي التحليلي المستند إلى أسلوب التحليل الذي يعني وصف الظاهرة المراد دراستها، ولا يقف عند الوصف وجمع المعلومات بل يتعدى ذلك إلى تحليلها وتفسيرها وهو أسلوب بحثي لعمل استنتاجات واستخراج خصائص الظاهرة المراد دراستها والعوامل المؤثرة فيها بأسلوب موضوعي.

وقد اعتمد الباحثان في عملية تحليل وجمع النصوص على أسلوب تحليل المحتوى، حيث دراسة المضمون الظاهر للعبارة والجمل وتحليل المعاني، دون التعمق في النوايا، وكانت وحده التحليل المعتمدة في البحث "الموضوع" واكتفى الباحثان بالتحليل الكيفي وليس الكمي وذلك بسبب طبيعة البحث.

نظرية النمو الإنساني عند أبي العباس البلدي

وأخيراً فقد كان الباحثان حريصين كل الحرص أن يحكم سير المبحث وإفرازاته وعنوانته مع ما يتفق ورؤية الشيخ البلدي، دون التكلف بإسقاطات عنوانية أو مصطلحية لا تتوافق ولا تتسق مع مما يراه، وقد حرص الباحثان كذلك - نظراً لأهمية البحث ودقته وتخصصه - على إثبات أكبر قدر من النقولات ذات الشأن المتعلق بالنمو لإثبات اهتمام العلماء المسلمين بموضوعات النمو الإنساني. وكذلك لم يكن هدف الدراسة إجراء مقارنات بين رؤية الشيخ البلدي للنمو ونظريات النمو المعروفة، مثل: نظرية فرويد أو سكنر أو بياجيه، وإنما الهدف الكشف عن رؤية البلدي لقضايا النمو الإنساني، ولا يمنع عند الحاجة الإشارة إلى مثل هذه النظريات.

مصطلحات الدراسة:

مفهوم النمو الإنساني:

يستخدم مصطلح التطور الإنساني بالترادف مع مصطلح النمو الإنساني، إلا أن هناك من يفرق بين المصطلحين، ويتضح الفرق من خلال التعريف، فيعرف النمو الإنساني بأنه العمليات المتتابعة التي تحدث للفرد عبر حياته منذ لحظة الإخصاب حتى الممات، والتي تحدث تغيرات سلوكية ونمائية، وهو عملية ارتقائية متتابعة في سلسلة التغيرات التي تكشف عن إمكانيات الفرد بطريقة علمية (سليم، 2002)، ويعرف بأنه "سلسلة متتابعة من التغيرات التي تهدف إلى اكتمال نضج الكائن الحي من جميع النواحي الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية وتحدث هذه التغيرات بترتيب معين، وبطريقة يمكن التنبؤ بها كنتيجة للنضج والخبرة" (الطواب، 1995، ص 112).. ويعرف ب"سلسلة متتابعة من التغيرات التي تهدف إلى اكتمال نضج الكائن الحي، وهو بهذا لا يحدث فجأة ولكنه يتطور بانتظام وبخطوات متلاحقة" (الطيب، 1994، ص 257).

أما التطور الإنساني فيعرف التغيرات الكمية والنوعية التي تطرأ على مظاهر الشخصية الإنسانية، الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية والروحية والتي تمتد منذ بداية الحمل وتسير بالإنسان إلى الأمام حتى ينضج" (التل، 2005، ص 89). أو "ما يحدث للكائن الحي من تغيرات كمية وزيادات في الحجم والبنية ستبدأ مع بداية تكوين البويضة المخلفة وتستمر حتى اكتمال النضج" (علاونة، 1994، ص 19).

الملاحظ من العرض السابق لمفهومي النمو والتطور الإنساني:

1. دراسة النمو الإنساني تكون منذ اللحظة الأولى للإخصاب وحتى الوفاة، بينما التطور يبدأ من الإخصاب وينتهي باكتمال النضج.
2. يدرس النمو الإنساني التغيرات الكمية بينما يدرس التطور الإنساني التغيرات الكمية والنوعية.

د. عماد الشرفين و د. أحلام مطالفة

وعليه يرى الباحثان أن النمو الإنساني التغيرات الحادثة للإنسان في الجوانب الجسمية والحسية والعقلية والانفعالية والاجتماعية والدينية من الإخصاب وحتى اكتمال النضج.

خطة الدراسة:

أولاً: الإطار العام للدراسة؛ ويشمل المقدمة وأسئلة الدراسة وأهدافها ومنهجها ومفاهيمها والدراسات السابقة والخطة التفصيلية.

ثانياً: التعريف بأبي العباس البلدي وكتابه تدبير الحبالى ومفاهيم الدراسة.

ثالثاً: الإطار التحليلي للدراسة، ويشمل مراحل النمو الإنساني عند البلدي وطرائق البحث في النمو الإنساني ومشكلاته عند البلدي.

رابعاً: الخاتمة وفيها خلاصة نتائج الدراسة

ثانياً - التعريف بابي العباس البلدي وكتابه تدبير الحبالى والأطفال الصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم:

هو الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن يحيى البلدي، من أبناء القرن الرابع الهجري، حيث كان خبيراً بصناعة الطب وحسن العلاج وإعداده، ذهب إلى مصر، والتقى بالوزير الأجل أبي الفرج يعقوب بن يوسف بن كلثوم، وزير المعز الفاطمي وألف له كتابه "تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم في سنة 368هـ، وتوفي في سنة 380هـ. (ابن أبي أصيبعة، 1965)

ويعدّ كتاب البلدي من أنضج المساهمات البحثية التي أرست علم نفس التطور، حيث يقول الدكتور عمر هارون خليفة: "قدم علماء التراث العربي الإسلامي مساهمة كبيرة في بلورة ملامح علم نفس الطفل وعلم نفس التطور.... ويتضح ذلك من المؤلفات العلمية المتخصصة عن الطفولة والتي قدمت التعاريف والتفسيرات والمعالجات للقضايا المطروحة، وتعدّ مساهمة ابن الجزار والبلدي خاصة من أكمل وأنضج المساهمات البحثية، لقد أرست كتابات علماء التراث قواعد علم نفس التطور من خلال وصف وتحديد المفاهيم والتصنيف الدقيق لمراحل التطور من الناحية الزمنية ومعالجة جوانب النمو المختلفة كالنمو الحركي والانفعالي والاجتماعي والعقلي، بالإضافة لذلك فقد ساهم هؤلاء العلماء في تحديد الاضطرابات النفسية الخاصة بالأطفال ومعرفة أسبابها وكيفية علاجها واهتم هؤلاء العلماء بصورة خاصة بموضوع التدبير والصحة النفسية للأطفال" (خليفة، 2001، ص 418).

ويحوي الكتاب ثلاثة مقالات؛ المقالة الأولى: في تدبير الحبالى والأطفال والأجنة ومداواة ما يعرض من الأمراض لهم وتشمل على سبعة وخمسين باباً، والمقالة الثانية: في تربية الأطفال

نظرية النمو الإنساني عند أبي العباس البلدي

والصبيان وتدريبهم وحفظ صحتهم، وتشمل ثمانية وأربعين باباً، والمقالة الثالثة: في الأوجاع والأمراض الحادثة بالأطفال والصبيان ومداواة كل واحد منهما وتشمل على واحد وستين باباً. وجاء الكتاب منسجماً مع الهدف الذي يسعى إليه البلدي من تأكيد أهمية العناية بالأطفال والصبيان لضعف حالهم وقلة قوتهم، ويستدل على ذلك بالقياس والحس، حيث يقول: "فأما تدبير الأطفال والصبيان وتربيتهم وحفظ صحتهم ومداواتهم وما يعرض لهم، فليس ينبغي أن يكون تدبيرهم كتدبير غيرهم ولا مداواتهم كمدداوة سواهم من ذوي الأسنان فأمر بين الظهور قياساً وحساً... أما القياس فالذي يخصهم من الخلاف في مزاجهم ولضعفهم في قواهم وأفعالهم الطبيعية منها والنفسانية ولقلة اعتيادهم للأمور وعدمهم الأسنان والأضراس؛ ولأنهم لا يقوون من هضم الأغذية والأشربة والحركات وغير ذلك مما يكون به التدبير والمدداوة على ما يقوى عليه غيرهم من ذوي الأسنان، وأما الحس، فالذي نشاهده من الحال فيما يجري عليه من الأطفال في تدبيرهم وأغذيتهم وتدرجهم من الألف ف - الذي هو لبن الأم - إلى الأغظ - الذي هو اللحم - وما يجري مجراه على تدرج وترتيب وطول من الزمان.." (البلدي، 2004، ص 15)

ثالثاً : الإطار التحليلي للدراسة؛ ويشمل مراحل النمو الإنساني عند البلدي وطرائق البحث ومشكلات النمو.

1. مراحل النمو الإنساني عند البلدي

يلحظ المتأمل في تقسم مراحل التطور الإنساني أنها أمر اجتهادي بحسب المعيار الذي يعتمد في بيان المراحل التطورية، بالإضافة إلى الخلط بين مراحل التطور الإنساني ومراحل النمو الإنساني، فمراحل النمو تمتد إلى مرحلة الشيخوخة، أما مراحل التطور، فتنتهي باكتمال النضج ، والبلدي كغيره من العلماء يرى أن مراحل النمو الإنساني أربع مراحل هي:

المرحلة الأولى: مرحلة الجنين، وهو الإنسان في بطن أمه إلى أن يولد، يقول: "إن الأطباء والفلاسفة الأولين يريدون بقولهم جنيناً ما دام الإنسان حاملاً في الرحم إلى حين الولادة، هذا لا خلاف فيه..." (البلدي، 2004، ص 14) وهذه المرحلة لم يقع في تحديدها خلاف كما يرى البلدي.

أما المرحلة الثانية: مرحلة الطفولة ويسمي البلدي هذه المرحلة الأسبوع الأول، وتمتد من كونه وليداً إلى أن يأكل ويشرب، يقول: " ويريدون بقولهم طفل: الإنسان منذ ابتدأ تكوينه في الرحم إلى أن يأكل ويشرب وتقوى أفعاله الطبيعية على هضم الأغذية، وتقوى أفعاله الحيوانية والنفسانية، وحركاته ومشيه، وهذا الاختلاف دقيق" (البلدي، 2004، ص 14) وتمتد المرحلة من الولادة إلى سبع سنوات ، وتسمى هذه المرحلة مرحلة ما قبل المدرسة، أو يمكن تقسمها إلى مرحلتين، هما: مرحلة الرضاع ومرحلة الحضانة.

د. عماد الشريفيين و د. أحلام مطالفة

والمرحلة الثالثة: مرحلة الصبيان أو الأسبوع الثاني كما تسمى عند البلدي، وتمتد من كونه طفلاً إلى أن يبلغ سن الشباب، وتمتد من سبع سنوات إلى أربعة عشر سنة، يقول: " ويريدون بقولهم صبي الإنسان منذ كونه إلى حين بلوغه سن الشباب" (البلدي، 2004، ص14)، وأخيراً المرحلة الرابعة: سن الفتيان أو الأسبوع الثالث ويكون من أربعة عشر سنة إلى إحدى وعشرين سنة، يقول: " غير أن جالينوس لخص السبع السنين الأواخر من سني الصبيان في الاسم بسن الفتيان" (البلدي، 2004، ص14)

وفيما يلي تفصيل مراحل التطور الإنساني عند البلدي:

المرحلة الأولى: (مرحلة الجنين):

يعرض البلدي المراحل التي يمر بها الجنين في الرحم عرضاً مفصلاً، فيذكر وقت حركة الجنين، وما يحدث له في مختلف الشهور إلى أن يولد، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن البلدي قد تأثر في عرضه لبعض الآراء بمن قبله من الأطباء، يقول: " ففي اليوم السادس من سقوطه في الرحم يصير المني زبداً لتحركه وامتخاضه بالحرارة الطبيعية، وما يجتذبه من يسير دم الحيض إذا كان كل شيء رطباً.... وفي ثمانية أيام آخر بعد ذلك يصير دماً، ومنه ما يصير كذلك في تسعة أيام يصير لحماً.....، وفي اثني عشر يوماً آخر تتعود أعضاؤه وتبين خلقته وتتميز مفاصله.... ويتحرك في تمام سبعين يوماً ومنه ما تكون حركته في ثمانين يوماً، ومنه في تسعين يوماً ومنه في مائة يوم أكثره، ويولد في مائتي يوم وعشرة أيام، ومنه ما تكون ولادته في مائتين وأربعين يوماً، ومنه مائتين وسبعين يوماً..... وفي الشهر الثالث يتغشاها الجلد ويعلو سائر أعضائه.... وأما الشعر الذي ينبت على رؤوس الأجنة وحوابهم وأشفار أعينهم فإن جميع الأطباء والفلاسفة يقررون بأن تكون الشعر من الحرارة والرطوبة، وفي الشهر الرابع والخامس والسادس فقد تبين الشعر ظاهراً وظهوره فيمن يولد في الشهر الثامن أكثر وفيمن يولد في الشهر التاسع أكثر منه في الشهر الثامن...." (البلدي، 2004، ص34-36).

والبلدي في وصفه لهذه المرحلة انما يعرض للمرحلة كما بينها القران الكريم والسنة النبوية،

يقول سبحانه وتعالى: { وَجَاءكَ رَبُّكَ فَاقْبَلْهُ } (سورة الواقعة، آية 17) { وَجَاءَكَ رَبُّكَ فَاقْبَلْهُ } (سورة الواقعة، آية 17)

وَقَالَ رَبُّكَ طَبَّقْ عَلَيْنَا مَا تَدْعُوُنَا بِهِ مِنْ عَذَابٍ آتٍ سَابِقًا لِمَنْ كَفَرَ مِنْ قَبْلِكَ لِيُذَكَّرَ بِهِ أُولَئِكَ فَتَنْهَى عَنْ ذُنُوبِهِمْ يَوْمَ يَعْلَمُونَ (سورة الواقعة، آية 18)

وَقَالَ رَبُّكَ طَبَّقْ عَلَيْنَا مَا تَدْعُوُنَا بِهِ مِنْ عَذَابٍ آتٍ سَابِقًا لِمَنْ كَفَرَ مِنْ قَبْلِكَ لِيُذَكَّرَ بِهِ أُولَئِكَ فَتَنْهَى عَنْ ذُنُوبِهِمْ يَوْمَ يَعْلَمُونَ (سورة الواقعة، آية 18)

نظرية النمو الإنساني عند أبي العباس البلدي

{ ٣٧٩٥ } (سورة القيامة، آية 37).

{ ٣٧٩٥ } (سورة القيامة، آية 37).

وعن حذيفة بن أسيد **t** قال: قال رسول الله **r** " إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول يا رب رزقه؟ فيقضي ربه ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على أمر ولا ينقص " (الطبراني، 1404، حديث رقم 3044).

وعن ابن مسعود قال: قال: قال رسول الله **r** " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات- يكتب رزقه وعمله وشقي أم سعيد" (مسلم، ج4، ص2036، حديث 2643). فتحول المني إلى الزيد هي مرحلة النطفة وهي مرحلة بداية خلق الإنسان وتتكون من التقاء الحيوان المنوي عند الذكر والبويضة الأنثوية عند المرأة، وهي الطور أو المرحلة الأولى في تخلق الجنين (الشريفين، 2007) وهي النطفة الأمشاج يقول سبحانه: { ٣٧٩٥ } (سورة الإنسان، آية 2).

والنطفة في الأسبوع الأول من التقاء الرجل بالمرأة، وذكر البلدي أن الزيد الذي تكون تحول إلى دم، وهي مرحلة العلقة؛ لأنها تعلق في جدار الرحم، والعلقه كما يقول ابن عاشور: في الأصل قطعة من دم عاقد (ابن عاشور، 2000)

وأشار البلدي أن الدم العاقد يتحول بعد فترة وجيزة إلى قطعة لحم، وهي مرحلة المضغة، والمضغة القطعة الصغيرة من اللحم بمقدار اللقمة التي تمضغ. وبعد أن تتكون المضغة يبدأ جزء منها بالتحول أو يسهم في تكوين العظام وبعد ذلك تأتي مرحلة التصوير، يقول سبحانه: { ٣٧٩٥ } (سورة الإنسان، آية 6).

وقد ذكر البلدي الاختلاف بين العلماء في أول ما يتكون من الجنين في الرحم، ورجح بعض الآراء، يقول: "اختلف الطبيعويين والمشرحوين في أول عضو يتكون من الجنين في الرحم، فقال بعضهم: " إنه القلب، وقال بعضهم: إنه الدماغ، وقال بعضهم: إنه فقار الظهر....، واتفق المشرحوين جميعاً على

د. عماد الشرفين و د. أحلام مطالفة

أن المني يتلين على الرحم ويصير منه غشاءً ، وأن أول ما يتبين في خلق جسد الحيوان شبيه ثلاث نقط متقاربة، بعضها من بعض يتوهم أنها رسم الكبد، والقلب، والدماغ...." (البلدي، 2004، ص36).

ويشير البلدي إلى أن العناية بالجنين تبدأ من العناية بأمه وأن صحة الجنين وسقمه مرتبط بصحة أمه، لذا فمن أفضل الأمور للعناية بالجنين هو العناية بالأم وإزالة الأمراض عنها، يقول: "وإنما يكون الجنين الصحيح أو القيم من قبل صحة أمه أو سقمها، وإذا كان ذلك كذلك فإن من أفضل الأمور وأوفق التدبير في تربية الأطفال وتدبيرهم المتقدم بتدبير الحبالى بهنّ ، وحفظ صحتهنّ، وإزالة الأمراض عن أبدانهنّ...." (البلدي، 2004، ص16).

ويذكر البلدي مجموعة من الصفات التي ينبغي توافرها في المرأة حتى يكون الجنين سليماً صحيحاً معافى من الأمراض والأوجاع، منها: اعتدال مزاج الأم، أي مراعاة الجانب الانفعالي للأم الحامل وأن يكون الحمل في سن معتدل، وأن تكون معتدلة العقل، بالإضافة إلى صفات أخرى ينبغي مراعاتها، يقول: فإن المرأة التي ينبغي أن تتخير للحبل والولادة يجب أن تكون معتدلة في مزاجها، ومعتدلة الحال في رحمها ليست بالقصفة اليابسة جداً، ولا باللينة... ولا مسترخية الأعطاف جداً، وتكون من أبناء خمسة عشرة سنة إلى تمام الأربعين سنة، وتكون سهلة النظر، ومعتدلة العقل مجتمعاً، وجهها مبتسماً، واسعاً خصرها وبطنها، ويكون طمثها يجري في أوقاته ولا يحبس عنها ولا يسيل سيلاً كثيراً، وتكون قليلة الأمراض سليمة الرحم لا تكاد أن يعرض فيه لها مرض البتة...". (البلدي، 2004، ص18).

والمتمأمل في كلام البلدي السابق يخلص إلى أنه أشار إلى جملة من الصفات الجسدية والخلقية والعقلية والفسولوجية الواجب توافرها في الأم حتى لا يتأثر الجنين وهو في بطنها بسوء بعض هذه الصفات وفيما يلي تفصيل لبعض الصفات التي أشار إليها البلدي:

أ. الاعتدال في الصفات الجسمية والعقلية والنفسية للأم:

أشار البلدي إلى أهمية أن تمتلك الأم صفات الاعتدال سواء تعلق بصفات الجسمية أو العقلية أو الجسدية أو الانفعالية بمعنى أن تكون الأم في حالة انفعالية طبيعية بعيداً عن الضغوط النفسية والعاطفية، وأكد على ضرورة استقرار الحالة الانفعالية وقت الحبل والولادة، يقول: " : فإن المرأة التي ينبغي أن تتخير للحبل والولادة يجب أن تكون معتدلة في مزاجها....." (البلدي، 2004، ص18).

وقد أشارت الدراسات الحديثة إلى أن الحالة الانفعالية للأم تؤثر تأثيراً بالغاً على نمو الطفل فحالات الانفعال الشديدة، مثل الضيق أو التعب أو التوتر وإفراز كميات كبيرة من هرمون

نظرية النمو الإنساني عند أبي العباس البلدي

الأدرينالين والذي ينساب من دم الأم إلى دم لطفل يؤثر تأثيراً ضاراً على الطفل وخاصة إذا زاد عن نسبة معينة (الطواب، 1995).

فبالضغوط العاطفية والنفسية التي تتعرض لها المرأة خلال فترة الحمل، يمكن أن تكون عاملاً في ظهور إصابة الجنين بتشوهات، مثل: الشرم وانشقاق الشفة والحلق، ويفسر العلماء هذه التشوهات بأن الضغط النفسي سبب في ارتفاع هرمون الكورتيزون الذي يؤدي إلى ارتفاع نسبة السكر في الدم، وتقلص نسبة الأوكسجين في الأنسجة، وهما عاملان يتسببان في تشوهات خلقية عند الجنين (النايلسي، 2005)

وأشارت الدراسات إلى أن الاضطرابات الانفعالية للأم لها تأثير على نشاط الجنين، وأن الأم ذات القلق العالي تؤثر على جهاز الجنين العصبي وسير الدورة الدموية لديه، وأن الأمهات المضطربات ينجبن أطفالاً أقل وزناً، وأكثر توتراً، إذ أكدت الدراسات أن الضغط النفسي الذي تتعرض له الحامل أثناء الحمل يرتبط بالتهيجية والبكاء الزائد لدى طفلها والصحة المتدنية والعيوب الخلقية (محمود، 1998).

ب. الاعتدال في السن (سن الأم الحامل):

يعد سن الأم من العوامل بالغة التأثير في تحسين النسل وسلامته من العاهات الخلقية والعقلية، فقد دلت الدراسات والبحوث على أن نسبة الأطفال المشوهين والمعتوهين تزداد تبعاً لسن الأم وخاصة بعد سن الخامسة والأربعين (السيد، 1975)

وثمة أدلة تشير إلى أن ارتفاع وفيات الأجنة، وارتفاع نسبة حدوث التخلف العقلي، والولادات غير الناضجة، والتشوهات في الجهاز العصبي المركزي مرتبطة بتقدم الوالدين في السن، ويعود ذلك إلى هبوط الوظائف التناسلية لكبار السن، وتركيز الهرمونات في دم الأم الكبيرة السن، مع ما يرافق ذلك من آثار في تكوين الجنين (عقل، 1418).

وبين البلدي أن السن المناسب للحمل ما بين خمسة عشر سنة إلى أربعين، يقول "وتكون من أبناء خمسة عشرة سنة إلى تمام الأربعين سنة" (البلدي، 2004، ص18).

وعليه فقد ثبت علمياً أن عمر الأم له علاقة بما يسمى بـ "متلازمة دارون" الطفل المنغولي، الذي يولد في أغلب الأحيان نتيجة خلل كروموسومي، ونتيجة انفصال الكروموسوم (21) مما ينتج عنه تثليث الكروموسوم، فيكون عدد الكروموسومات (47) بدلاً من (46) في الإنسان العادي، وهذا الخلل له علاقة وطيدة بعمر الأم، فيحدث هذا الخلل بنسبة (1 : 1250) عند السيدات التي تتراوح أعمارهن ما بين (15-19) سنة، وعندما يكون عمر الأم (30) سنة تقفز لتصبح هذه النسبة (1 :

د. عماد الشريفين و د. أحلام مطالفة

(900) وعندما تبلغ المرأة الأربعين تكون النسبة (1: 100) أما إذا حملت الأم وقد بلغت من العمر (45) سنة فتكون النسبة (1: 25) (حامد، 2002).

ج. الاعتدال في الغذاء:

يذكر البلدي حاجة المرأة الحامل للغذاء ويشترط عدم الزيادة فيه حتى لا يتقل معدتها، وأن يكون بمقدار يسهل هضمه كما يكون تناوله على دفعات وليس دفعة واحدة، يقول: "وكذلك تحتاج الحامل من التدبير إلى أقوى مما تقدم، ومن الغذاء إلى أكثر من الذي ذكروا، إذا كانت تحتاج إلى غذاء أكثر، فيجب أن نزيدها في غذائها الزيادة التي لا تتقلها وتنهض بها وبمقدار ما لا يتقل على معدتها ولا يفسد هضمه فيها، بل يكون ذلك بالمقدار المعتدل الموافق الذي يوجد هضمه، ويحسن استمرارها ويكون ذلك في دفعات لا في دفعة واحدة على تدرج وترتيب" (البلدي، 2004، ص 59).

والبلدي بهذا يدعو إلى الاعتدال في تناول الطعام والشراب للمرأة الحامل، يقول سبحانه: {

﴿ وَكُلُوا وَشَرِبُوا لَا تُفْرِطُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْرِطِينَ ﴾

{ ٧٧: ٣١ }

(سورة الأعراف، آية 31) والدراسات العلمية أثبتت أننا لا نحتاج إلى كل الكمية التي نأكلها من الطعام والشراب، بل نحتاج إلى طعام متوازن ومتنوع، فالغذاء الصحي لا يعتمد نوعاً معيناً من المواد الغذائية أو مجموعة محددة من هذه المواد بل يعتمد التوازن فيما يدخل جوف الإنسان (عبد الصمد، 1993).

إن تأمين الغذاء والدواء والمسكن للمرأة الحامل يؤثر في نمو الجنين، فالتطور الجسدي للجنين يكون بأفضل حال لبعده عن سوء التغذية، فالأم التي تعاني من خلل في الغذاء قد تلد طفلاً يعاني نقصاً جسدياً أو عقلياً أو اضطراباً نفسياً... وسوء التغذية تأثير مباشر على نمو دماغ الجنين، فيكون نموه العقلي عند الأمهات اللاتي لا يكثرن بنوع الغذاء أثناء فترة الحمل أقل منه عند أقرانهم ونظرائهم ممن يهتمن بنوعية الغذاء من الحوامل، وسوء التغذية يؤثر في تكاثر خلايا الدماغ، فقد وجد أنها تتكاثر في مرحلة ما قبل الولادة عن طريق الانقسام المباشر، وسوء التغذية لا يجعلها قادرة على هذا الانقسام مما يسبب كثيراً من الإعاقات (علاونة، 1989).

وَدُعِدُ التغذية سبباً للولادة غير الناضجة أو الميتة أو ولادة أطفال يعانون من فقر الدم أو التشوهات الخلقية، وكذلك سوء التغذية للأم وحرمانها من الحديد والفيتامينات والعناصر الغذائية

نظرية النمو الإنساني عند أبي العباس البلدي

الأخرى ينعكس على قلة وزن الطفل، وبالتالي تعرضه للموت عقب الولادة، وقد يؤدي إلى إعاقة جسمية وعقلية أو متاعب أثناء التطور لديه (عقل، 1418).

وقد أجريت دراسة لمعرفة أثر التغذية في نمو الجنين في أمريكا الجنوبية وتمت المقارنة بين مجموعتين من الأمهات الحوامل، مجموعة تلقت الغذاء، والمجموعة الثانية عانت نقص الغذاء، فأتضح أن أطفال الأمهات المحرومات من الغذاء أقل وزناً وكفاءة وأكثر عرضة للوفاة نتيجة سوء التغذية (حمام، ؛ علي 2003).

د. حركات الحامل والأصوات الشديدة:

يؤكد البلدي على ضرورة ابتعاد المرأة الحامل عن الوثوب وحمل الأشياء الثقيلة، وأن تبتعد عن الأصوات الشديدة لتأثيرها في نمو الجنين وقد تؤدي إلى إسقاطه، والبلدي بهذا ينصح بإبعاد المرأة الحامل عن الإرهاق والتعب؛ لأنه يؤدي إلى إسقاط المولود بالإضافة إلى التأثير في التطور الجسدي والنفسي يقول: "وينبغي للحامل أن تتقي الوثوب، وحمل الشيء الثقيل والانكباب، والإدمان على الانكباب.... ومن الصوت الشديد، فقد أسقط بعض النساء من صوت الرعد ومن أشياء مفزعة هالتهن... " (البلدي، 2004، ص 59).

هـ. الاعتدال بالجماع لتأثيره في الجنين:

يدعو البلدي إلى الاعتدال بالجماع مع المرأة الحامل؛ لأن كثرتة تضعف الجنين وربما تسقطه كما أن قلته تحدث عسر ولادة الأمر الذي قد يؤثر في الجنين من حيث القوة والضعف، يقول: "وينبغي للحامل أن لا تمتنع من الجماع كل الامتناع مدة أيام الحمل، فإن الامتناع منه دفعة واحدة ليس بجيد للحامل وكذلك أيضاً الإكثار منه، والإدمان عليه ليس بجيد وذلك أن الامتناع يحدث عسراً في الولادة ويجعل الأوجاع فيه أقوى وأشد، والإدمان عليه يضعف الجنين، وربما كان ذلك سبباً للإسقاط، فإن الجماع الكثير يدفع الجنين إلى خارج، ويفسد الدم بكثرة الحركة، ويحث الرحم على الإنضاج، ويشوقه إلى شهوة النكاح.... لأن الجنين في الشهر الأول والثاني ضعيف الاتصال وضعيف القوة وتعلقه بالرحم ليس بالقوة، فلا يؤمن عليه عند الجماع لضعفه وضعف تعلقه أن يسقط وينزلق من الرحم ويفارقه ويخرج عنه... " (البلدي، 2004، ص 61).

و. استعمال الحمام للحامل لتأثيره في حركة الجنين:

ينصح البلدي الحامل بالإكثار من الحمام؛ لأن فيه سكون حركات الجنين الشديدة المؤذية وهذا ما يجعل نمو الجنين مركزاً كون الحركات الشديدة تجعله يفقد الكثير من الطاقة التي يكتسبها من الطعام الذي يصل إليه من المشيمة، يقول: "فأما الحمام فليس بضرار، بل نافعة لهن لما فيها من

د. عماد الشريفين و د. أحلام مطالفة

اللذة وتسكين الألم وإزالة التعب واجتلاب النوم وسكون حركات الجنين الشديدة المؤذية المتعبة..".
(البلدي، 2004، ص 61).

المرحلة الثانية: (سن الطفولة "الأسبوع الأول"):

يطلق البلدي على هذه المرحلة الأسبوع الأول ويؤكد ضرورة رعاية الطفل بعد انفصاله عن أمه لضعف قوته وحساسية حاله وتمتد هذه المرحلة إلى سن السابعة، يقول: "وكذلك يجب أن تكون العناية بهم بعد ولادتهم أوكد، والحذر عليهم أشد، وأكثر؛ لأن أغصان الشجرة وفروعها ما دامت لاصقة بالشجرة ومتصلة بها لا تكاد العواصف من الرياح أن تززعها ولا أن تقتلعها..... وكذلك الجنين ما دام في الرحم فهو يقوى ويصبر على ما يعرض له ويناله من سوء التدبير والأذى على ما لا يصبر على اليسير منه بعد ولادته وانفصاله عن الرحم، وكذلك يجب أن تكون العناية بأمره وبحسن تدبيره وتفقدته وحفظ ولادته أوكد والحذر عليه أتم وأكثر..." (البلدي، 2004، 102).

ويمكن تقسيم المرحلة الى مرحلتين، هما: الرضاع والحضانة فتبدأ مرحلة الرضاع من تاريخ ميلاد

الجنين حتى نهاية السنة الثانية من عمره لقوله تعالى: { وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَنُودًا }

(سورة البقرة، آية 233)، وهي المدة اللازمة ليتغذى

الطفل من حليب أمه ويكتسب المناعة الصحية والعافية البدنية، ومرحلة الحضانة من نهاية السنة الثانية إلى السنة السابعة (الشريفين، 2007).

وبين البلدي في كتابه تدبير الحبالى والصبيان العوامل المؤثرة في تطور الأطفال في هذه المرحلة، ويحث على الالتزام بها؛ لأن الالتزام بها يؤثر في جميع المظاهر التطورية المختلفة، وفيما يلي بعض العوامل التي تحدث عنها البلدي:

أ. الغذاء (الرضاع الطبيعي):

يؤكد البلدي أن أفضل الأغذية المؤثرة في نمو الطفل هو لبن الأم لما جرى عليه وهو في بطن أمه، ووجه البلدي الأم إلى ضرورة الاعتناء بمطعمها ومشربها لتأثر الطفل بذلك، يقول: "وأفضل الأغذية للأطفال ولأمهاتهم وأشبهها بطبائع أبدانهم اللبني، وأحمد الألبان وأوقفها لأبدانهم ما جرت عليه عاداتهم لبن أمهاتهم، فالأخلق بلبن الأم أن يكون أوفق الألبان كلها لسائر الأطفال إن لم يكن لها علة أو سبب يفسد اللبن...." (البلدي، 2004، ص 98).

وعدّ لبن الأم الغذاء الأمثل فهو غني بجميع العناصر الغذائية المناسبة لنمو الطفل وسلامته وقوته، وهو صحيح خال من الجراثيم التي تسبب مختلف الأمراض للأطفال، و يتمتع بتركيب متطور فخلال الأيام الأولى يكون غنيا بالبروتين والمعادن بما يناسب النمو فقيراً للسكر والمواد

نظرية النمو الإنساني عند أبي العباس البلدي

الدسمة ومجهزاً بأجسام مضادة تكسب الطفل المناعة ضد الأمراض، و مجهز بخمائر وأنزيمات تساعد المعدة على إفراز محتوياتها بعد أقل من ساعتين من الرضاع، ويساعد الأمعاء على الامتصاص بسهولة ويتمتع بدرجة حرارة ثابتة، وكذلك هو لبن معقم بطريقة ربانية تعجز أمامها جميع طرق التعقيم ويتمتع بالزيادة والنقصان غريزيا تبعا لحاجة الطفل (محمود، 1998).

ويوجه البلدي الأم إلى ضرورة الاعتناء بمطعمها ومشربها ونومها ويقظتها حتى لا يتأثر اللبن الذي تغذيه الطفل فيتأثر الطفل، يقول: "وكذلك يجب على الأم إذا كانت هي المرضع أن تحسن تدبيرها لنفسها في مطعمها ومشربها، ونومها ويقظتها وحركتها وسكونها ليكون لبنها على سائر الأحوال في مزاجه...." (البلدي، 2004، ص103).

ويقول: "وذلك أن قلة الطعام والصوم يقلل اللبن، وكثرة الطعام تكثره وتثقله على المعدة وإذا ثقل الطعام على الطفل وكثر في معدته أتخمه وإذا أتخمه عرض له اختلاف ومغص من أجله...." (البلدي، 2004، ص106).

وعليه فقد حرص الاسلام على نمو الطفل نمواً سليماً في جميع مظاهر التطور الجسدي، والنفسي فخفف المرضع بعض العبادات، مثل: الصوم والحج. فقد اتفق الفقهاء على أن الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما أفطرتا؛ لأن حكهما حكم المريض، وقد سئل الحسن البصري عن الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولدهما، فقال: أي مرض أشد من الحمل تقطر وتقضي. ولكن الفقهاء اختلفوا، هل يجب عليها القضاء مع الفدية أم القضاء (الصابوني، 1980)، وفي الحديث الشريف عن النبي ﷺ قال: "إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، وعن الحبل والمرضع (الطبراني، 1404، حديث764).

كما يؤكد البلدي ضرورة عدم الإشباع المفرط من الطعام؛ لأن الإشباع يلحق الضرر بأجسامهم وتهجم عليهم الأمراض، يقول: "وينبغي أن يكون ما يطعمه الصبيان من الأغذية دون شبعهم ليجود هضمهم وتعديل أخلاقهم وتقل الفضول في أبدانهم وتصح أجسادهم وتقل أمراضهم لقله الفضول فيهم..". (البلدي، 2004، ص104).

ب. حسن اختيار المرضع لتأثر الرضيع بها:

يؤكد البلدي ضرورة حسن اختيار المرضع وأن تكون أخلاقها حسنة سليمة من الأمراض، سنها معتدل، تتجنب الجماع؛ لأن هذا كله يؤثر في نمو الطفل الجسمي والعقلي والنفسي والأخلاقي، يقول: "فإن احتيج إلى بعض المرضعات بسبب يمنع من رضاع الأم فينبغي أن يتخير من المرضعات والدايات من يجمعها والمولود جنس واحد من الأجناس الواحدة... وإن أخلاق المرضعات نافعة لأمزجة أبدانهم، وذلك المزاج يحدث للطفل خلقياً يحسبه إذا كانت أخلاق النفس

د. عماد الشريفيين و د. أحلام مطالفة

تابعة لمزاج الأبدان، وينبغي أن يتحرى ممن تختار منهم أن تكون سليمة من الأمراض، صحيحة الجسد، معتدلة المزاج، ليس بها شيء من الأدوية والأمراض... (البلدي، 2004، ص 103).
فقد ورد في الأثر: "لا تسترضعوا الورهاء (الحمقاء)" وفي رواية لا تسترضعوا الحمقاء فإن اللبن يشبهه" (الطبراني، د.ت 137) وفي هذا جاء توجيه عمر بن الخطاب **t** في بيان تأثير اللبن في صفات الإنسان وإن على الإنسان أن يختار لابنه المرضعة التي جمعت الخلق والدين، فكان يقول " فلا تسق من يهودية ولا نصرانية ولا زانية" (رواس، 1981، 337)، يقول الشيخ الصابوني "... فالولد قد تكون من دمها في أحشائها فلما برز إلى الوجود تحول الدم إلى لبن يتغذى منه، فهو اللبن الذي يلائمة ويناسبه؛ لأنه قد انفصل من الأم. وقد قضت الحكمة الإلهية أن تكون حالة لبن الأم في التغذية ملائمة لحال الطفل بحسب درجات سنه، فإذا أرضعته مرضع لضرورة وجب التدقيق في صحتها، ومعرفة أخلاقها وطبائعها؛ لأن لبنها يؤثر في جسم الطفل وأخلاقه وآدابه، إذ هو يخرج من دمها ويمتصه الولد فيكون دماً له ينمو به اللحم وينشز العظم، فيؤثر فيه جسمياً وخلقياً، وقد لوحظ أن تأثير انفعالاتها النفسية والعقلية أشد من تأثير صفاتها البدنية فيه، فما بالك بآثار عقلها وشعورها وملكاتنا النفسية..." (الصابوني، 1980، ج1، ص 357).

وقد آمن فقهاء الإسلام بأن الغذاء المقدم للطفل يتناسب مع أخلاق الطفل وسجاياه الحميدة الفاضلة وكلما كان الغذاء نقياً طاهراً خالياً من المحرمات والخبائث، نما الطفل متمسكاً بالأخلاق الإسلامية الفاضلة، وكلما كان ممزوجاً بالأعراض السوادوية نما على خبث الأخلاق ومنحرفاً عن النهج القويم لذا كانت إشارة الفقهاء إلى أهمية اللبن المقدم للطفل (العمرات، 2006).

وينبه البلدي على توسط سن المرضع، فيقول: "وينبغي أن تكون المرضع وسطة السن، لا حديثة جداً، ولا مسنة جداً، وأحمد ما يتخذ من المرضعات من كانت سنها بين الخمس والعشرين سنة إلى خمس وثلاثين سنة....، فإن المرضع إذا كانت مسنة جداً يكون لبنها خائراً لا يخرج من الثدي إلا بمشقة وعناء وربما عرض تغير الطفل من ذلك وجع وألم..." (البلدي، 2004، ص 104).

ويشير إلى تأثير الطفل بأخلاق مرضعته، فيقول: "ومن أوفق الأمور للطفل أيضاً أن تكون المرضع لبيبة عاقلة، رزينة، ناسكة، عفيفة، رحيمة، حسنة الخلق، بطيئة الغضب، فإن ذلك مما يعين على جودة اللبن وصحته وجودة مزاجه..." (البلدي، 2004، ص 105).

ويحث البلدي المرضع على تجنب بعض أنواع الطعام والشراب لتأثيره على اللبن الذي يرضعه الطفل يقول: "وقد ينبغي للمرضع أن تتوقى التخمرة والسكر، وكل ما كان من الأغذية حاراً جداً، ومالحاً، وعفصاً، وحامضاً، أو مرا فإن ذلك كله رديء للمرضع غير موافق للأطفال والصبيان... وذلك مما يفسد اللبن" (البلدي، 2004، ص 107).

نظرية النمو الإنساني عند أبي العباس البلدي

ويؤكد البلدي ضرورة منع المرضع من الجماع للضرر الحادث من ذلك في نمو الطفل، يقول: "فأما جماع المرضع فردئ في تدبير الأطفال، وذلك أن المرأة متى باشرها رجل حرك دم الطمث وأهاجه للخروج، فلا يبقى اللبن حينئذ على اعتداله وطيب رائحته..." (البلدي، 2004، ص108).

ج. النظافة الشخصية والبيئية للطفل:

النظافة عامل فائق التأثير يسهم في التطور السليم للإنسان وهو للطفل أكد، لذا فقد أكد البلدي نظافة الطفل وملبسه ومكان نومه، يقول البلدي ناقلاً عن السابقين: "لإني أنا صادفت صبياً مكث نهاره أجمع يبكي ويتبليط ويضطرب اضطراباً شديداً، ورأيت فراشه وثاره ولباسه وسخاً، ورأيت الصبي أيضاً نفضاً قديداً على بدنه الوسخ لطول عهده بلا استحمام، أمرت بأن يحمى وينظف ويبدل فراشه، ويجعل لباسه كله نقياً نظيفاً، فلما فعل ذلك به سكن على المكان...، وكف عن تلك الحركات المضطربة التي كان عليها ونام عند ذلك نوماً مستغرقاً هنيئاً طويلاً..." (البلدي، 2004، ص109).

فتؤدي النظافة الشخصية والبيئية دوراً مهماً في التطور الإنساني، فالاهتمام بالنظافة له أثر بالغ في إحداث التطور النفسي والجسدي والاجتماعي لدى الأفراد، في حين أن إهمال النظافة يؤدي إلى انتشار الأمراض التي تعيق نمو الإنسان وتطوره، وقد أرشد الإسلام إلى صور النظافة التي لو روعيت ورسخت في النفوس لأعطت أعظم النتائج الإيجابية في مختلف مظاهر التطور الجسدي والعقلي والنفسي والأخلاقي والاجتماعي للإنسان. ومن أهم صور النظافة ما هو متعلق بنظافة الثياب

يقول سبحانه وتعالى: { وَارْتَدُوا ثيابكم } (سورة الأعراف، آية 26).

يقول سبحانه وتعالى: { وَارْتَدُوا ثيابكم } (سورة الأعراف، آية 26).

فالملابس غير النظيفة تؤثر في التطور الجسدي للإنسان إذ تسبب له الأمراض، وتؤثر في نفسيته فتجعله دائم القلق والاضطراب غير واثق بنفسه، ويتأذى منه الناس ولا يحبون مخالطته والاجتماع به (الشريفين، 2007).

د. عماد الشرفين و د. أحلام مطالفة

د. البيئة المحيطة بالطفل:

تعدّ البيئة المحيطة من العوامل التي تؤثر تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على الفرد منذ لحظة الإخصاب، وتشمل العوامل المادية والاجتماعية والثقافية والحضارية، ولها دور إيجابي كبير، حيث تسهم في تشكيل شخصية الفرد وفي أنماط سلوكه وأساليبه في مجابهة مواقف الحياة (زهران، 1982)، فكلما كانت صحية ومتنوعة كان تأثيرها حسناً في التطور، وكلما كانت غير ملائمة أثرت تأثيراً سلبياً على التطور (زهران، 1982).

لذا ينصح البلدي المرضعات بإبعاد الأطفال عن الأصوات المفزعة، والمناظر المخيفة حتى لا يلحق بهم الضرر، يقول: "وينبغي أن تتوقى المرضع في تدبير الأطفال والصبيان كل أمر يفزعهم وكل صوت جهير وكل منظر فظيع ولا تفزعهم بصوت ولا بمنظر... فإن ذلك كله مما يدخل عليه الضرر فإن فاجأه ما ذكرناه ففزع منه أخرج إلى غيره وسُكن وهدى ليطمئن بمنظر بعض أحبائه ومن يستأنس بهم ويألفهم..." (البلدي، 2004، ص 120).

المرحلة الثالثة: (سن الصبي "الأسبوع الثاني"):

يصف البلدي هذه المرحلة بالأسبوع الثاني في حياة الطفل، وهي من انقضاء الأسبوع الأول؛ أي من سبع سنوات إلى أربعة عشرة سنة، يقول: "في تدبير الصبيان بحسب الأسبوع الثاني وهو انقضاء سبع سنين إلى إتمام أربع عشرة سنة"، (البلدي، 2004، ص 128). ويدعو البلدي الآباء في هذه بداية المرحلة إلى الاهتمام بالتطور العقلي فيحث على تعليم الطفل مختلف العلوم؛ لأن هذه المرحلة هي مرحلة التعليم، يقول متبنياً رأي من سبقه: "فإذا كان في سن السادسة والسابعة فليدفع الصبيان إلى معلم ساكن يستأنس بهم؛ وذلك لأن من كانت هذه حاله من المعلمين كان تعليمه للصبيان راحة لهم من سرور وراحة النفس مع الأشياء العظيمة النفع الموافقة في حسن الحال للبدن" (البلدي، 2004، ص 129).

أما في نهاية المرحلة فيوجه البلدي إلى دراسة علوم مختلفة تتناسب مع نموه العقلي، يقول: "فإذا أتت على الصبي اثنتا عشرة سنة، فينبغي أن يدفع في ذلك الوقت إلى معلمي النحو ومعلمي الهندسة والحساب ويروض نفسه وبدنه رياضة اضطرارية" (البلدي، 2004، ص 103).

فالتطور العقلي من المظاهر البارزة فتحدث تغيرات واضحة في العمليات العقلية، ومن أهم مظاهر التطور العقلي ما يطرأ على العمليات المنظمة للنشاط المعرفي، ومنها الإدراك حيث ينمو ويتطور وتزداد قدرة الطفل على وصف الأشياء وإدراك العلاقات، وتتمو المفاهيم وتندرج من البسيط إلى المعقد ومن الحسي إلى المجرد، وكذلك تزداد القدرة على الانتباه والتذكر والتفكير (عقل، 1418).

نظرية النمو الإنساني عند أبي العباس البلدي

وينصح البلدي في هذه المرحلة أن يتم تعويد الصبيان الأخلاق الحسنة وكذلك الأفعال، ويعلم التعاليم التي تكسب نفسه جمالاً، يقول: "وينبغي أن يقوم نفسه في هذه السن خاصة على الأخلاق المرضية....، وأن يعود الطهارة في الأخلاق والأفعال ويعلم التعاليم سيما أنها خاصة تكسب نفسه الجمال، فإن جمال نفسه وسلامة قيادتها عدة له قوية جداً، وزاد عظيم الدرك فيها يحتاج إلى استعماله في بدنه الذي يتلو هذه السن..." (البلدي، 2004، ص 129).

ففي هذه المرحلة يبدأ الطفل بتكوين معايير أخلاقية واجتماعية وأنماط سلوكية، وللأسرة الدور الرئيس في تأكيد السلوكيات الأخلاقية في نفوس الأطفال، وكان النبي ﷺ يعلم الأطفال السلوك الحسن والآداب الطيبة، فعن عكراش بن دؤيب، قال: أتينا بجفنة كثيرة الثريد والونر فخبطت يدي في نواحيها، وأكل رسول الله ﷺ من بين يديه، فقبض بيده اليسرى على يدي اليمنى، ثم قال: "يا عكراش كل من موضع واحد فإنه طعام واحد"، ثم أتينا بطبق فيه ألوان من التمر فجعلت أكل من بين يدي ومالت يد رسول الله ﷺ في الطبق، فقال يا عكراش كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد، ثم أتينا بماء فغسل رسول الله ﷺ يديه ومسح بببل كفيه ووجهه وذراعيه ورأسه وقال: يا عكراش هذا الوضوء مما غيرت النار" (الطبراني، 1405)، فالنبي ﷺ يعلم الصبي آداب تناول الطعام والشراب التي لها أثر بالغ في قبوله ونموه اجتماعياً وأخلاقياً.

وينصح البلدي الصبي أو من يقوم على تربيته بأن يعتاد الرياضة من غير عنفٍ ولا إسراف، وأن يستحم بعدها بالماء الحار المعتدل، لا الماء البارد للضرر الناتج على الصحة بالإضافة إلى نصحه بالإدهان بمادة المرخ، يقول: "وأن يرتاض في كل يوم رياضة لا إسراف فيها ولا عنف لكي لا يعرق وذلك كنشوته ونموه، وأن يستحم بعد ذلك بالماء الحار المعتدل لا بالماء البارد من غير أذى، وأن يستعمل المرخ والدهن، ويكون غذاؤه موافقاً له.." (البلدي، 2004، ص 129).

وقد أشار علماء النفس إلى أن هذه المرحلة تتميز بالنشاط الحركي، فتتميز بالمهارات الحركية والتأزر بين العضلات الدقيقة وأجهزة الجسم (عقل، 1418).

ويتطور الجهاز العضلي تطوراً ملحوظاً بل تتضاعف قوة العضلات عما كانت عليه في مرحلة الطفولة (النل، 2005)، وهذا ما يبين أهمية دعوة البلدي إلى أهمية اعتياد الرياضة.

المرحلة الرابعة: (الأسبوع الثالث)

يصف البلدي هذه المرحلة بالأسبوع الثالث في حياة الإنسان وتمتد من انقضاء الأسبوع الثاني؛ أي من سن الرابعة عشرة حتى سن الحادي والعشرين سن الشباب، ويؤكد البلدي أن ما يحتاج إليه الصبي من التدبير في هذه المرحلة مختلف عما سبق من المراحل، يقول: "فإن الذي يحتاج إليه من التدبير في هذا الصبي ليس ما هو يحتاج إليه في ذلك الذي ذكر قبله...." (البلدي، 2004،

د. عماد الشرفين و د. أحلام مطالفة

ص130). ففي هذه المرحلة تبلغ أعضاء جسم الإنسان درجة التكامل في الطول والحجم والنضج، فغالباً ما يكون الفرد في هذه المرحلة سليماً في أعضائه، قوياً في بدنه، لذا ينبغي توجيه الإنسان في هذه المرحلة نحو توظيف طاقاته الجسدية بما يعود عليه وعلى المجتمع بالفائدة (الزيد، 1417). لذا يؤكد البلدي على أهمية توجيه الصبي في هذه المرحلة إلى التطور المهني من التجارة أو الصناعة بحسب رغبته، يقول: "وها هنا أنواع أخر مما يتصرف الناس من أصناف التصرف بجميع الصلعات التي إن رمنا تقديرها واحداً واحداً طال مما في بعضها رياضته كالفلاحة والتجارة وغيرها من سائر الأعمال والصنائع المشابهة لها...." (البلدي، 2004، ص130).

2. طرائق البحث في النمو الإنساني ومشكلاته عند البلدي:

طرائق البحث في النمو الإنساني:

تعرف مناهج البحث بأنه: الأسلوب، أو الطريق الذي يسلكه الباحث في تفصيله للحقائق العلمية في أي فرع من فروع المعرفة، وفي أي ميدان من ميادين العلوم النظرية، والعلمية (عناية، 1990 ص79).

يرى الباحثان أن المقصود بمناهج البحث في النمو الإنساني هو الأسلوب، أو الطريق الذي يسلكه الباحث في تفصيله للحقائق العلمية المتعلقة بالتغيرات الحادثة لفرد في مختلف الجوانب التطورية الجسمية، والعقلية، والنفسية، والاجتماعية خلال المراحل العمرية التي يمر بها الإنسان وتكشف عن العوامل والمشكلات المتعلقة بالتغيرات التطورية. ويمكن استخلاص مجموعة من الطرائق التي اعتمد عليها البلدي في بيانه للتغيرات الحادثة للفرد، ومن أهمها:

أ. الطريقة السريرية (الإكلينيكية):

المنهج السريري الطريقة التي يتم بها دراسة السلوك الفردي للإنسان وتشخيصه في كل مرحلة من مراحل نموه، وخاصة عندما ينحرف أو يواجه مشكلة تبعده عن مساره الطبيعي في التطور؛ أي في الحالات التي تعاني من الاضطرابات الانفعالية والنفسية في الطفولة والمراهقة والرشد والشيخوخة (سليم، 2002)

يستخدم هذا المنهج لدراسة السلوك الفردي وتشخيصه، وغالباً ما تجمع المعلومات عن السلوك من خلال دراسة معمقة لتاريخ الحالة صاحبة السلوك، فتجمع المعلومات التي تتصل بأعراض المشكلة ونشأتها، وعن تاريخ الشخص وعلاقاته وتفاعلاته وظروفه الأسرية بالرجوع إلى الأشخاص أو السجلات أو التقارير، هذا بالإضافة إلى عمل الفحوصات السريرية والمخبرية، ومراقبة الشخص

نظرية النمو الإنساني عند أبي العباس البلدي

لفترة زمنية سواء في البيت أو المدرسة أو إحدى العيادات أو المستشفيات للوقوف على أعراض المشكلة وتكرارها (عودة ؛ عيسى 1984).

وقد كان العلماء المسلمون على معرفة بهذا المنهج، فوصف ابن الجزار القيرواني للأمراض التي يتعرض لها الصبيان بعمق ودقة ملاحظة، لا يختلف فيها عما هو الحال في ميدان الطب السريري، فعرف الأوض ووصفها وصفاً دقيقاً من حيث الأعراض والعلامات متبعاً المنهج العلمي من السؤال والفحص باستعمال النظر واللمس والسمع، وكذلك فحص البراز والقيء وغير ذلك من الفحوصات التكميلية للفحص الإكلينيكي (خليفة، 2001).

وقد كان أسلوب البلدي عند الحديث عن أمراض الأطفال ومعالجتها أن يبدأ بالتعريف بالمرض، ثم يذكر أعراضه وينتهي إلى ذكر العلاج، وهو في كل ذلك يذكر ما جاء في كتب الأقدمين مستعيناً بطريقتي التجربة والقياس، فكل حقيقة عن الأمراض والعلاجات وغيرها من المواد الغذائية والدوائية التي لا يقتنع بمنفعتها وصحتها عن طريق المشاهدة الصحيحة والتجربة يرفضها مبيناً رأيه وسبب رفضه بروح علمية وانتقاد نزيه (خليفة، 2001).

فوصف البلدي للأمراض التي يتعرض لها الصبيان جاء من خلال الفحص العميق والملاحظة الدقيقة التلايخختلف عن ميدان الطب السريري، فعرف الأمراض ووصفها وصفاً دقيقاً متبعاً المنهج العلمي بدءاً من السؤال والفحص واستعمال النظر واللمس والسمع وكذلك فحص البراز والقيء إلى غير ذلك من الفحوصات التكميلية للفحص الإكلينيكي.

ب. الملاحظة:

يقصد بالملاحظة مراقبة سلوك الآخرين وتصرفاتهم في المواقف المختلفة، وما يظهر عليهم من تغير في ما يصدر عنهم، والملاحظة نوعان ملاحظة عابرة وتكون بدون أي محاولة لضبط المتغيرات أو العوامل التي تحدث فيها الملاحظة، وملاحظة منظمة يحاول فيها الباحث الوصول إلى نتائج معينة.

والإسلام كما دعا الإنسان إلى الملاحظة يقول **لَوْحَالَهُمْ وَتَعَالَى بَرُّهُ وَفِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُ وَآيَاتُ الْآدِينَ مَنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُ الْأَرْضِ وَهِيَ الْأَرْضُ عَمْرُوهَا سَأَلَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَكَانُوا أَنْفُسَهُمْ ظَالِمُونَ** { (سورة الروم، آية 9)

ففي هذه الآية دعوة لمعرفة حقيقة الإنسانية الموحدة المنشأ والمصير، كي لا ينزل جيل في قيمه وتصوراته ويغفل عن الصلة الوثيقة بين أجيال البشر جميعاً، فسنة الله ماضية في الجميع، وسنة الله حق ثابت يقوم عليه هذا الوجود، بلا محاباة لجيل من الناس (قطب، 1996).

د. عماد الشريفيين و د. أحلام مطالفة

وعليه فإن مراقبة الآخرين وملاحظة سلوكهم والتغيرات التي تحدث لهم في سلوكهم وفي أحوالهم المختلفة أمر حث عليه الإسلام، بشرط أن لا ينصرف إلى التجسس على الناس؛ لأنه أمر محرم. يستخدم البلدي أسلوب الملاحظة في دراسة التطور الإنساني، يقول: "فالذي نشاهده من الحال فيما يجري عليه من الأطفال في تدبيرهم وأغذيتهم، وتدرجهم فيها من الألف - الذي هو لين الأم - إلى الأغظ الذي هو اللحم - وما يجري مجراه على تدرج وترتيب وطول من الزمن...." (البلدي، 2004، ص15).

فالبلدي شاهد ولاحظ تدرج الأطفال في الأغذية من الألف إلى الأغظ، لذا وجه الآخرين إلى ضرورة الالتزام بهذا؛ لأنه من حسن التدبير للأطفال.

ج. التجربة:

هو المنهج الذي ينتقل فيه الباحث من الجزء إلى الكل أو من الخاص إلى العام، يسير متدرجا في التعميم حتى يصل إلى حكم عام، وهو يعتمد في كل خطواته على الملاحظة والتجربة واستقراء الجزئيات الواقعية بينها حتى يصل إلى القوانين العامة (صابر، 1418).

ويحاول الباحث في المنهج التجريبي التحكم في كل العوامل التي تؤثر في الظاهرة المدروسة، ما عدا تأثير عامل واحد يريد معرفة بعض التفاصيل عنه، كون معرفة تفاصيل أبعاد الموقف السلوكي عملية معقدة، إن لم تكن مستحيلة أحيانا (الطواب، 1995).

فالمنهج التجريبي من أفضل مناهج البحث لسببين؛ أنه أقرب المناهج إلى الموضوعية بعكس منهج الاستنباط الذي تتدخل فيه الذاتية، والباحث في المنهج التجريبي يسيطر العوامل المختلفة التي تؤثر في الظاهرة المدروسة (زهران، 1982).

أما الشواهد الدالة على اهتمام العلماء المسلمين بالتجريب فيما يتعلق بالتطور الإنساني، فيذكر البلدي أسلوب التجربة والقياس في تدبير الصبيان والأطفال من الأمراض والأحوال التي تعرض لهم، وعدم استخدام الأغذية والأشربة والأدوية إلا ما شهدت التجربة بصحته، فيقول: " فقد ينبغي أن يكون ما يستعمل في تدبيرهم ومداواتهم من التدبير بالأغذية والأشربة والأدوية وجميع ما يستعمل فيهم مع إيجاب القياس لاستعماله فيهم مما شهدت التجربة بنجاحه فيهم... " (البلدي، 2004، ص17).

فهو لا يجيز استعمال الأدوية والأغذية والأشربة في مداواة الأطفال إلا إذا دلت التجربة على استعماله، ويقول في موضع آخر يتحدث فيه عن إنبات الشعر على الطفل...: " وهذا مع إيجاب القياس له فإن التجربة تشهد في صحته، وذلك أن جميع الأجنة الذين يبرزون من الرحم قبل الشهر الرابع وما قبله لا يكاد أن يكون فيهم شيء من الشعر البني لا في رؤسهم ولا في حواجبهم، ولا في

نظرية النمو الإنساني عند أبي العباس البلدي

أشفار أعينهم، ومن يبرز منهم في الشهر الرابع والخامس والسادس، فقد تبين فيهم الشعر ظاهراً... " (البلدي، 2004، ص36).

يمكن تلخيص أسلوب البلدي في الأسس الآتية، الأول: اللجوء إلى التحصيل النظري والاستفادة من علوم السابقين وبحوث العلماء المعاصرين، والأساس الثاني: المنهج التجريبي، فقد رسم البلدي منهجاً تجريبياً لنفسه في القرن الرابع اعتماداً على الاستقراء والقياس والمشاهدة أو التجربة والتمثيل وكثيراً ما كان البلدي يردد عبارة: "وهذا مع إيجاب القياس فإن التجربة تشهد في صحته"، "والعيان يكذبهم" (خليفة، 2001 ص171).

د. المنهج المقارن:

منهج الدراسة المقارن أسلوب للتوصل إلى فهم متعدد الأبعاد لبيان حالات التباين والاشترك وتفسيرها؛ لأن الاتجاه المباشر في فهم الأشياء يحرم المرء من رؤية الأبعاد المختلفة لموضوع الدراسة، ويجعل الفهم سطحيًا، فالمنهج المقارن يتيح للباحث استيعاب الجوانب الخفية في موضوع البحث... والقرآن الكريم استخدم أسلوب المقارنة بين الأشخاص بهدف إيجاد تصور واضح في الرؤية (فراملكي، 2004).

لقد استخدم العلماء المسلمون المنهج المقارن في دراسة التطور الإنساني، ومن الأمثلة الدالة أن الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه تحفة المودود بأحكام المولود يعرض لاختلاف العلماء في أول ما يتشكل ويخلق من أعضاء الإنسان، فيعرض الآراء المطروحة وحجج أصحابها، يقول: " واختلف في أول ما يتشكل ويخلق من أعضائه؛ قال قائلون - هو القلب. وقال آخرون: إنه الدماغ، وقال آخرون: هو الكبد. وقال آخر فقار الظهر فاحتج أرباب القول الأول بأن القلب هو العضو الأساسي الذي هو معدن الحرارة..... (الجوزية 1999، ص243)

كما استخدم الشيخ أبو العباس البلدي أسلوب المقارنة في دراسته للنمو الإنساني، حيث عرض الآراء وناقشها، ومثال ذلك مناقشته للآراء في أول ما يتكون من الجنين، يقول: " اختلف الطبيعيون والمشرحوون في أول عضو يتكون من الجنين في الرحم، فقال بعضهم: إنه القلب، وقال بعضهم إنه الدماغ، وقال بعضهم: إنه فقار الظهر... واتفق المشرحوون جميعاً على أن المني يتلين على الرحم، ويصير منه غشاءً ، وأن أول ما يتبين في خلق جسد الحيوان شبيه ثلاث نقط متقاربة، بعضها من بعض يتوهم أنها رسم الكبد والقلب والدماغ... " (البلدي، 2004، ص39).

يعرض البلدي لجميع الآراء ويتبنى بعضها ويرد على البعض الآخر، وهذا هو المنهج المقارن، يقول: ".... وأما المعتقدون أنها أطراف العظام والأعصاب فقد أخطأوا في ذلك وأساءوا والعيان يكذبهم ويكذب القائلين...." (البلدي، 2004، ص37).

د. عماد الشرفيين و د. أحلام مطالفة

مشكلات النمو الإنساني عند البلدي:

يرى البلدي أن المشكلات الرئيسية التي تواجه الصبيان والأطفال المشكلات المتعلقة بالأمراض، سواء كانت الأمراض النفسية أم الجسدية. لذا فقد خصص المقالة الثالثة في الكتاب لعلاج الأمراض النفسية والجسدية عند الأطفال، وفيما يلي نماذج للأمراض التي ذكرها.

أ. **الأمراض النفسية:** ذكر البلدي مجموعة من الأمراض النفسية التي تعرض للأطفال والتي يجب علاجها، فذكر مثلاً في الباب السابع لمرض السهر العارض للصبيان وكيفية مداواته (البلدي، 2004، ص 139). وذكر في الباب التاسع التنشج وأنواعه الكلية وأسبابه الفاعلة (البلدي، 2004، ص 142) وفي الباب الثاني عشر الصرع العارض (البلدي، 2004، ص 147). ويزخر الكتاب بالأمثلة الدالة على عناية البلدي بعلاج الأمراض النفسية وهو ما يحتاج إلى بحث مستقل.

ب. **الأمراض الجسدية:** ذكر البلدي مجموعة من الأمراض الجسدية التي تعرض للأطفال والتي يجب علاجها، فذكر مثلاً في الباب التاسع عشر: علاج الرمد العارض لأعين الصبيان (البلدي، 2004، ص 165)، وفي الباب الخامس والعشرون: علاج اللحم النابت في آذان الصبيان (البلدي، 2004، ص 158)، وفي الباب الثالث والثلاثون علاج أورام الحلق (البلدي، 2004، ص 179).. فهذه نماذج تدل على عناية البلدي بالأمراض الجسدية وعلاجها.

أما منهجه فكان يذكر ما ذكره الأطباء من قبله من المشكلات والأمراض التي تعرض للإنسان منذ ولادته إلى أن يكبر، ويزيد عليها أسباب المرض وأصنافه وعلاجه، يقول: "فهذا ما ذكره ابقراط وغيره من أفاضل الفلاسفة والأطباء المتقدمين من الأمراض التي تحدث بالأطفال والصبيان في أكثر الأمر، فأما ما يعرض ويحدث مما لم يذكره فسنستبعه ونتلطفه من مواضعه ونظيفه إلى ما ذكره من ذلك، ونذكر أسبابه وأصنافه والعلامات الدالة منها ولا نترك شيئاً مما يختص حدوثه بالصبيان إلا ذكرناه بعهدنا وطاقتنا وحسب توفيق الله _تعالى_ لنا فإننا به وله، ونجعل ما نذكره من ذلك على ترتيب ونظام، وهو أن يبدأ ما يعرض ذلك في الرأس، ثم في الوجه، ثم في العنق والصدر والبطن إلى أن يبلغ آخر أعضاء البدن...." (البلدي، 2004، ص 130).

نظرية النمو الإنساني عند أبي العباس البلدي

رابعاً : الخاتمة وتشمل النتائج والتوصيات

توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج، من أهمها:

1. يجد مفهوم النمو الإنساني مجموعة المبادئ والقواعد والمفاهيم المترابطة والتي تدور حول التغيرات التي تحدث في للإنسان الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية منذ اللحظة الأولى للإخصاب وحتى اكتمال النضج الإنساني.
2. مراحل النمو الإنساني عند البلدي أربع مراحل، هي: مرحلة الجنين، ومرحلة الطفولة وسماها الأسبوع الأول، و مرحلة سن الطفولة وحددّها من الولادة حتى سبع سنين (الأسبوع الأول)، ومرحلة الصبي من سبع سنوات إلى أربع عشرة سنة (الأسبوع الثاني)، ومرحلة الشباب تمتد من أربع عشرة إلى سن الحادي والعشرين (الأسبوع الثالث)، حيث تتميز كل مرحلة بمجموعة من المظاهر التطورية المميزة.
3. أشار البلدي إلى مجموعة من العوامل المؤثرة في مراحل النمو الإنساني لعل من أهمها الغذاء والبيئة وسن الأم وغيرها من العوامل المؤثرة.
4. بين البلدي مشكلات النمو الإنساني، حيث تبرز في جانبين: الأول المشكلات النفسية، والثاني: المشكلات الجسدية.
5. أشار البلدي إلى مجموعة من المناهج المستخدمة في دراسة النمو الإنساني، ومن أهمها السريرية، والملاحظة، والتجربة والمنهج المقارن.

التوصيات: توصي الدراسة بالآتي

- إجراء دراسة حول علاج الأمراض النفسية عند البلدي.
- إجراء دراسات مقارنة بين رؤية البلدي للنمو الإنساني ونظريات النمو المعاصرة.
- تبني كليات التربية والشريعة للموروث النفسي عند العلماء المسلمين وإبرازه بلغة العصر.

المراجع :

1. ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس احمد(1965)، عيون الأبناء في طبقات الأطباء،بيروت، دار مكتبة الحياة.
2. ابن عاشور، محمد الطاهر(2000). التحرير والتنوير. بيروت : مؤسسة التاريخ.
3. أبو حطب، فؤاد(د.ت)، علم نفس النمو من منظور إسلامي، المجلة التربوية الإسلامية، الكويت، جامعة الكويت، كلية التربية.
4. ادعيس، منى رفعت.(1993)، مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 1993م.

د. عماد الشريفيين و د. أحلام مطالفة

5. البلدي، أحمد بن محمد بن يحيى (2004). تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم، بيروت: دار الكتب العلمية..
6. التل، شادية. (1990). مراحل النمو الإنساني ومطالبها التربوية، في بحوث المؤتمر التربوي نحو بناء نظرية تربوية إسلامية، فتحي ملكاوي (محرر).
7. التل، شادية أحمد. (2005). علم النفس التربوي في الإسلام، عمان: دار النفائس.
8. الجوزية، محمد بن أبي بكر ابن قيم (1999). تحفة المودود بأحكام المولود. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
9. حامد، حامد أحمد (2002). رحلة الإيمان في جسم الإنسان. دمشق: دار القلم.
10. حمام، فادية؛ مصطفى، علي (2003). علم نفس النمو. السعودية: دار الزهراء.
11. خليفة، عمر هارون (2001). علم النفس التجريبي في التراث العربي الإسلامي. لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
12. رواس، محمد (1981). موسوعة فقه عمر بن الخطاب. الكويت: مكتبة الفلاح.
13. زهران، حامد (1982). علم نفس النمو. القاهرة: عالم الكتب.
14. الزيد، عبد الرحمن بن عبد الله (1417). التوجيه الإسلامي للنمو الإنساني عند طلاب التعليم العالي. مجلة الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، العدد (103-104).
15. سليم، مريم (2002). علم نفس النمو. بيروت: دار النهضة العربية.
16. السيد، فؤاد البهي (1975). الأسس النفسية للنمو. دار الفكر العربي.
17. الشريعة، محمد. (1997). المتطلبات التربوية لمراحل النمو الإنساني في ضوء التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة.
18. الشريفيين، عماد. (2007). النمو الإنساني من منظور إسلامي، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة.
19. الشريفيين، عماد. (2009). نظرية التطور الانساني عند ابن الجوزي دراسة نفسية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الانسانية والاجتماعية، مجلد 6، عدد 3، ص 153-182.
20. صابر، حلمي عبد المنعم (1418). منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام. مكة المكرمة: مجلة دعوة الحق، عدد 183.
21. الصابوني، محمد علي (1980). روائع البيان تفسير آيات الأحكام. سوريا: مكتبة الغزالي.
22. الطبراني، سليمان بن أحمد (د.ت). المعجم الصغير. بيروت: المكتب الإسلامي.
23. الطبراني، سليمان بن أحمد (1405). المعجم الأوسط. بيروت: المكتب الإسلامي.

نظرية النمو الإنساني عند أبي العباس البلدي

24. الطبراني، سليمان بن أحمد (1404). المعجم الكبير. مصر: مكتبة العلوم والحكم.
25. الطواب، سيد محمود (1995). النمو الإنساني أسسه وتطبيقات. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
26. الطواب، سيد محمود (1995). النمو الإنساني أسسه وتطبيقات. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
27. الطيب، محمد عبد الظاهر (1994). مبادئ علم النفس العام. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
28. عبد الصمد، محمد كامل (1993). الإعجاز العلمي في الإسلام، القرآن الكريم. مصر: الدار المصرية اللبنانية.
29. عقل، محمد (1418هـ). النمو الإنساني الطفولة والمرافعة. الرياض: دار الخريجي.
30. علاونة، شفيق (1994). سيكولوجية التطور الإنساني. عمان: دار الفرقان.
31. علاونة، شفيق (1989). أساسيات علم النفس التطوري. الاردن: مكتبة الرائد العلمية.
32. العمرات، رجا غازي (2006). المضامين التربوية المتعلقة بعبادات الطفل ومعاملته في الفقه الإسلامي. رسالة دكتوراه غير منشورة. الاردن: جامعة اليرموك. كلية الشريعة.
33. عناية، غازي حسن (1990). مهج البحث العلمي في الإسلام. بيروت: دار الجيل.
34. عودة، محمد؛ عيسى، محمد رفيق (1984). الطفولة والصبأ. الكويت: دار القلم.
35. قراملكي، أحمد (2004). مناهج البحث في الدراسات الدينية. بيروت: معهد المعارف الحكمية.
36. قطب، سيد (1996). في ظلال القرآن. جدة: دار الشروق.
37. محمود، حمدي شاكر (1998). مبادئ علم نفس النمو. السعودية: دار الأندلس للنشر والتوزيع.
38. مسلم بن الحجاج النيسابوري (د.ت). صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي.
39. النابلسي، محمد راتب (2005). الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. دمشق: دار المكتبي.
40. النجار، مسعد، (1995). نحو بناء نظرية إسلامية في الشخصية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية التربية.
41. Shehu، Salisu. (1998) Toward an Islamic Perspective of Developmental Psychology, the American Journal of Islamic Social Sciences Psychology, 15(4).